



رحلة إلى جبل موسى

سياحة مسؤولة ومجتمعية







جبل موسى، أبو منجل والعجوز الحكيم..

جبل موسى، كانت بنتا شابة لأب صياد وأم تغزل الصوف، عاشت منذ نعومة أظافرهما في قرية ساحلية قرب تطوان.. كانت ذات عينيْن كبيرتين وجميلتين، ونظرة بهيجة وعميقة، كأنهما محمّلتان بكل تاريخ قريتها.. عياناً كأنهما مسكونتان بأساطير الفينيقيين والأمازيغ والبيزنطيين والرومان والعرب الذين سكنوا المكان، وقصصهم القديمة.

كانت تخرج جبل موسى، مثل كل صباح، للعب مع نسيم البحر وجمع الأصداف على شاطئ البحر لاستعمالها في تشييد القلاع الرملية، وذلك كلما لم تكن ملزمة بالخروج للصيد مع والدها، وهو أشد ما كان يعجبها.

-ماذا تفعلين؟.. من أنت؟ سألتها طائر غريب، لم تره من قبل، ذو منقار طويل ومنحني للأسفل، ورأس أقرع وأحمر، وريش أسود لامع، ليس بطائر النورس، أو الغاق، لأنها تعرفت عليهما عندما كانت تركب القارب مع والدها للذهاب للصيد.

-أنا أبو منجل الناسك، ولكن ناديني بأبو منجل... ابن عمومة أبو منجل الذي يعيش في قاديس الإسبانية في الضفة الأخرى من مضيق جبل طارق، وأخ أبو منجل الذي يعيش في الشواطئ الأخرى على الحدود مع المغرب، ولكنني قادم من منحدرات قريبة من جبل موسى.. وأنت، ما اسمك؟

-قالت: اسمي جبل موسى... ثم سألته مندهشة، ولكن، أنت تتكلم؟..- ورد عليها قائلاً: لا، أنا لا أتكلم، أنت فقط تسمعيني وتفهمين ما أقول، وليس جميع الناس مثلك.

-قالت مستغربة كيف أنها تتكلم مع طائر: لا أفهم شيئاً!

-أجل، لقد قرأت منذ فترة طويلة في كتاب أن الذي يصغي بالقلب هو الذي يستطيع الاستماع، ولا بد أن يكون قلبك كبيراً جداً، لأنك استطعت سماعي...

-وماذا تفعل في الشاطئ؟..

-لقد قيل لي أن في هذه الشواطئ يعيش رجل عجوز يمتلك الحكمة الكافية ليخبرني كيف أستطيع إنقاذ أبناء شعبي... شعبك؟ هل أبناء شعبك في خطر؟... أجل، منذ وقت ليس بيسير وأنا بحث عن طيور أبو منجل مثلي، وحكوا لي أن عدداً ينقص يوماً بعد يوم، وأنا سوف نقرض، وقالوا لي أن في هذه المنحدرات يعيش رجل عجوز يمتلك الحل من دون أدنى شك... ولكنني أدركت في رحلتي الطويلة أننا نحن طيور أبو منجل لسنا فقط في خطر، ولكن الخطر يحدق أيضاً بالشواطئ، والأسماك، وطرق العيش التقليدية..

-ذهبت جبل موسى مسرعاً، حتى قبل أن يكمل سماع حكاية أبو منجل، متجهاً نحو بيته، ومشيراً على أبو منجل بالانتظار. ودخلت البيت، وطلبت من أبيها وأمها أن يجلسا حول الطاولة الكبيرة، وسألتهما بعصبية إن كانا يعرفان شيئاً عن العجوز الحكيم الذي كان يعيش في المنحدرات.. نظر أحدهما إلى الآخر، ونظرا إليه وقالوا لها أنهما لا يعلمان شيئاً بوجود عجوز حكيم، ولكن الجدة زليمة لا بد وأنها تعرف عنه... خرجت جبل موسى مسرعة بحثاً عن الجدة، بينما يتبعه طائر ليس بالنورس ولا بالغاق وهو يمشي بخطى متفرقة... ولما وصلت إلى بيت الجدة زليمة، سألتها...

-قالت لها الجدة زليمة بصوت هادئ كله حكمة: يا إبنتي، هناك مكان، يحمل نفس اسمك، حيث يوجد جبل يسمى موسى، يمكن أن تلمحي فيه منحدرات يعيش فيها عجوز حكيم، ولكن، لماذا تبحثين عنه؟ قالت له مستغربة.. وخرج من بين رجليها طائر، غريب الشكل، فقالت له العجوز: اقترب، ولا تخف يا أبو منجل، لم أر أحداً من فصيلتك في هذه الشواطئ منذ زمن، لأن ممارساتنا وأفعالنا السيئة تسببت في اختفائكم. عما تبحثين إذا كان بوسعك إخباري... وقبل الرد على سؤالها، خرجا من البيت مسرعين، ومن الباب تمت لهما الجعوز حظاً موفقاً، ودون أن تتمكن من وداعهما، لأنهما كان قد ابتعدا بحثاً عن شيخ

المنحدرات.

الصعود إلى المنحدر لم يكن بالأمر الهين، ولكن في الأخير وصلا إلى كهف صغير، حيث يعيش رجل عجوز... ثم اتجه أبو منجل نحوه ومن دون مقدمات، سأله كيف ينقذ أبناء شعبه... فنظر إليه العجوز نظرة حكيمة، وقال بهدوء: يا صديقي، لكي تتمكن من إنقاذ أبناء شعبك، يجب علينا، نحن البشر، أن نغير طريقة عيشنا ونشعر بأننا جزء من الطبيعة... ثم جلس على صخرة، ودعاها للنظر في الأفق، ثم قال: الحل لإنقاذ شعبك موجود في قلوب الكائنات الحية...

بليونش والزهراء غازلة الصوف

كانت قد قضت يومها في القرية القريبة من القصر الصغير مع صديقها الإدريسي، وهما يرسمان على الرمال ويجوبان أنقاض الحمامات، والمساجد، والحصون وميناء مريني في البقايا الأثرية ببليونش على سفوح جبل موسى.

وعندما أرخى الليل سدوله، سطعت النجوم أكثر من أي وقت مضى، حتى إن القمر نفسه بدى وكأنه تأخر في الظهور حتى تحظى بفرصة مشاهدة هذا المنظر الرائع. وتحت ضوء خافت يضيئ قرية الصيادين، وبعد عودة جبل موسى إلى بيتها، دعت أمها للمشي عبر الوادي المنحدر نحو البحر، والذي كان في الماضي مكانا شاعريا، تغنى به شعراء مشهورين مثل القاضي عياض.

مشت الزهراء مع ابنتها جبل موسى حتى وصلت إلى الشاطئ، حافيتا القدمين، فأحستا ببرودة الليل تدب في قدميهما.

-أمي، ألم تتمني يوما أن تكوني صيادة بدل غازلة صوف؟

-يا ابنتي، إن كوني غازلة صوف يعني المحافظة على تقاليد أمي وجدتي، إذ بفضل غزل الصوف استطاع جيل من النساء بناء أسرهن، ونقل الثقافة من جيل إلى آخر.

-وهل كان سيزعجك لو صرت صيادة بدل غازلة صوف؟

-يا ابنتي، لا ينبغي للتقاليد أن تتعارض مع سعادة الأشخاص، لأن القدر ليس مكتوبا لك أو لغيرك، بل يمكنك أن تكوني ما تشائين، أي أن تصيري صيادة مثل والدك، أو غازلة صوف مثل أمك هذا يخصك وحدك، لأنك أنت من تختارين قدرك ويجب عليك تحقيق ما

تصبين إليه. ينبغي على كل امرأة أن تكون بائية في مجتمعها، ولذلك أشارك في جمعية نسوية أسست في القرية، لبناء مستقبل جديد، ولكي نعطي القيمة للأشياء التي نقوم بها. وللذهاب معا لبيع الأقمشة التي نحيكها في سوق تطوان، وتبادل طرق التلوين والنسيج، لإظهار جمال هذه الأرض للأشخاص الذين يأتون لزيارتنا من وجهة نظر النساء.

مشتا لمدة طويلة على الشاطئ، بينما تسمع لكلام أمها، وإذا بالقمر كأنه يقبل المرأة النائمة، فانصرفنا عن الكلام للاستمتاع بهذا المنظر الطبيعي الخلاب.

-أتعرفين، يا جبل موسى، قبل زمن طويل، قبل أن يصير النهار نهارا، والليل ليلا، وقبل أن يصبح ما نعرفه كما هو، كانت هناك امرأة مهمتها تحمل أعمدة نهاية العالم إلى جانب هرقل.وجمعا بين الضفتين بواسطة قنطرة، وبعد انتهاءهما من ذلك، خلد هرقل وبلينوش للراحة، إلا أن ساحرا حولها إلى جبل. وفصل هرقل وهو في حالة غضب بين الضفتين، فغطى الماء القنطرة. ومنذ ذلك الحين تعيش الضفتين منفصلتين، والعالمين يعيشان منفصلين. ويقول القدامى إنها نائمة بانتظار حبيبها هرقل، حتى توقظها قبلة حب من نومها ويكون بمقدورهما الجمع بين العالمين.

-وقالت جبل موسى: يعود القمر ليلة بعد أخرى ليقبل بليونش الجميلة ويبوح لها بحبه، ولكنها لا تجيبه، لأنها تنتظر قبلة حبيبها الحقيقي، هرقل. وهل تعتقدين أنها ستستيقظ من نومها؟

-أعتقد أن الأشياء تتحقق بالعمل من أجلها، في الأسرة، والقرية والحياة. يجب علينا، أنا ووالدك، أن نعمل معا حتى يكون كل شيء على ما يرام، ويجب علينا أن ندعم الأعمدة بالتساوي إذا كنا نرغب في المحافظة على القنطرة، وهذا ما أفهمه من القصة التي حكيتها لك.

وظهرت من بين الأمواج صورة لانعكاس ضوء القمر.

-قال صوت شعاع الضوء الذي يعكس ضوء القمر في البحر: مرحبا يا غازلة الصوف!

-أريد أن أغزل فستانا.

ونهضت جبل موسى والزهراء بسرعة وحدقتا جيدا في امرأة الضوء.

-أنا بليونش، المرأة التي تنام على شكل صخرة، المرأة التي تنتظر اقتراب موعد عودتها في

يوم من الأيام والجمع بين العالمين اللذين يفصلهما البحر.

وقفت أمامهما وأخبرتهما أنها في حاجة إلى فستان تغزله الزهراء بيديها. فستان بلون الضوء، ثم

اختفت بين الأمواج.

ورجعت الزهراء وجبل موسى إلى القرية وهما غارقتين في التفكير. كيف يمكن غزل فستان من

الضوء؟ خلدتا إلى النوم دون التوصل إلى جواب مقنع، بينما كان القمر يبتعد من المرأة النائمة،

والأمواج تبتعد بدورها عن الشاطئ، غرقت القرية في ظلام دامس وتدثر أبو منجل الطائش

بجناحيه. وغدا سيكون يوما آخر.

الوھیری الصیاد والحوت الأھدب

قال لها والدها وهو يهزها: جبل موسى، هيا، إنهضي، حان وقت الذهاب للصيد.

كان الوھیری قد نهض في وقت مبكر لتجهيز عدّة الصيد، وإعداد وجبة الإفطار ومشاهدة حالة البحر.

وكان البحر هائجاً. دفع الأب وابنته قاربهما الصغير بعدما وضعها عليه عدّة الصيد، وبدءا رحلتها نحو خليج بنزو.

قالت جبل موسى: صديقي أبو منجل، تسعدني رؤيتك. لقد افتقدتك منذ أيام. وبينما كانت الفتاة الصغيرة تتحدث إلى الطائر، حط على صدر القارب، إلى جانب صديقه.

لقد بقيت بعض الوقت مع العجوز الحكيم، وزرنا أخواته الثلاث في جبل موسى، يويما، موسى والفحيص. لقد بقينا بضعة أيام في حوض بنزو، وتحدثنا عن سكان المنجم القديم لاستخراج المنغنيز، وقضينا بضعة أيام أخرى في ضريح سيدي موسى، مع جدة الرياح. ومنذ عودتي وأنا أفكر في أمر يراودني: لقد أخبرني سكان جبل موسى أن الأمور بدأت تتغير منذ زمن، وأن نفس الوضع الذي يعاني منه أبناء شعبي تعيشه شعوب أخرى. لقد أصبحت الحياة صعبة أكثر فأكثر بسبب تلوث المياه، والتربة والهواء، وأعدادنا تقل يوماً بعد يوم.

كانت أمواج البحر ترتطم بقوة مع القارب، بينما يبدو أن الصيد قليل جداً، مما جعل والد جبل موسى يضغط على أسنانه وهو يسحب شبكة الصيد مرة تلو الأخرى من الماء. لقد بدأت طريقة الصيد المعهودة تندثر شيئاً فشيئاً منذ بدأت السفن الكبيرة تجوب المياه، وبدء عدد الأسماك يقل يوماً بعد يوم، والناس يأتون على كل شيء ولا يحترمون شيئاً أو أحداً، والأمور تسير على عكس التيار.

صرخت جبل موسى: -أبي، أنظر! أنظر إلى هناك! هناك تدفق كبير للمياه في الأفق!

قال الأب: إنها الحيتان الحدباء، ثم أدار القارب، دون توجس، متوجها نحوها. وبينما كان

يرمي شبكة الصيد محاول إصطياد سمكة أو أخرى، اقترب الحيتان، كان أحد الحيتان يخرج من الماء كأنه يحاول إلقاء التحية على ركاب القارب، ثم يبتعد بعد ذلك. عادوا إلى بيتهم برفقة أحد الدلافين، وعلى الرغم من العودة دون صيد وفير، كان كافيا بالنسبة لهم مشاهدة الحوت الأحذب الكبير.

وفي إحدى المرات التي خرج فيها الحوت من الماء، حكى لأبي منجل المندهش، والذي كان يعرف لغة الحيتان، أن أشخاصا قادمين من أراض بعيدة يأتون للتعرف على أراضينا، وطرق عيشنا، وظهورنا ووجودنا في العالم. وحكى له أيضا عن ضرورة تعليمهم كيف يكونوا مسؤولين في علاقتهم مع الطبيعة وحياة الأشخاص الآخرين. وتعلم الوهيري في ذلك اليوم، وهو العارف بلغة طيور أبو منجل، إمكانية استخدام قاربه في تعليم الآخرين كيفية فهم البحر، والتعرف على سكان البحر، والصيد بطريقة مسؤولة والتعرف على عالم الحوت. وجعل هذا الفكر الجديد يشعر أن اليوم لم يكن يوما سيئا.

وكان المطر حاضرا، وإذا بالبحر يصبح عنيفا بعض الشيء، ورافقتهم الدلافين حتى الشاطئ. واستطاع الصياد بفضل مهارته قيادة القارب حتى وصل به قرب المنحدرات ثم إلى ميناء صغير بالقرية.

قال والد جبل موسى وهو يربط القارب عن الرصيف: سنحاول غدا من جديد، إنها الشبكة، ربما سنصطاد سمكا أكثر بقليل إذا عملنا فيما بيننا، أما اليوم، فلدينا ما يكفي للأكل وفكرة جديدة ليوم غد.

وبعد وصولها إلى البيت، صعدت جبل موسى إلى الجبل برفقة أبو منجل ذي الخطوات الطائشة، وبعد أن تذكر الحوت الأحذب، نظرت إلى البحر، والقرية، والأشجار، والأزهار، والطيور، وموطنها، وأسرتها، وبيت والديها، نظرت إلى السماء حتى استطاعت رؤية أعماقها، وفي تلك اللحظة رأت الطفلة التي كانت تحمل اسم امرأة ولدت على ضوء الأمواج، رأت العالم بعين شخص يفكر في ضرورة البحث عن طريقة أخرى للارتباط بالعالم، طريقة أخرى للعيش وطريقة أخرى للتواجد مع الطبيعة.

الشخص الذي جاء من مكان آخر فقرر البقاء لبعض الوقت للتعلم.

كان أول يوم في فصل الربيع. وكان أيضا أول لقاء بين جبل موسى وشخص غريب عن تلك الأراضي.

-سألها الشخص الأجنبي: ما اسمك؟ أين أنا؟ واستمر في الحديث بلغة لا تفهمها، بينما تنظر إليه جبل موسى دون أن تفهم ما يريد قوله.

ولما عرف الشخص الذي كان يتكلم بلغة ليست بلغة أهل البلد أنها لم تفهم، أطلعها على خريطة. ونظرت إليه وهي لا تعرف ما يقوله، استطاعت أن تفهم ما كانت الخريطة تريد حكيه. واستطاعت أن ترى في الرسم الذي كان يحمل ذلك الشخص قريتها، والشاطئ، والمنحدرات، وتعرفت على جبل موسى والموقع القديم لصيد الحيتان.

ورسمت على الرمال نفس الخريطة التي كان يحملها ذلك الشخص الغريب. وضعت حجارة على الأرض، وكتبت اسم قريتها بأحرف عربية، وكتبت تحته الاسم المكتوب في الخريطة، وتحول ذلك إلى لعبة للتواصل، إذا كان يكتب الشخص الذي كان يتكلم لغة غير لغة أهل البلد تحت الكلمة التي تكتبها جبل موسى بالعربية، وهكذا استطاعا أن يجوبا منطقة جبل موسى.

وبعد ذلك، كتب الشخص الذي كان يتكلم بلغة غير لغة أهل البلد اسما في مفكرة صغيرة، وكتبت هي اسمها، وبقي اسم جبل موسى واسم الشخص الغريب مكتوبين على الشاطئ اسفل الخريطة.

وأرعى الليل سدوله، فودعها الشخص الغريب واعد اياها بلقائها في الصباح التالي، ومشى جبل موسى بينما تلوح له بإشارات الوداع.

-قال أبو منجل الطائش: مرحبا! مرحبا! مرحبا!

-لقد وصلوا، رأيت ذلك، إنه سائح، عرفتهم في أماكن أخرى، ولا يتأون بخير،

وتركون النفايات في جميع الأماكن، ويجتازون جميع الطرقات دون إذن،
ويزعجون بأخذ الصور لكل ما هو متحرك، ويأتي بعده الكثيرون، وبينون المدن
ذات المباني العالية، وسيملؤون كل شيء بالبنى الحديدية والإسمنتية، وسوف تتغير
حياتك البسيطة. لقد رأيت كل ذلك وعشته.

-إهدأ. ما الذي جاء؟

-سألته جبل موسى قلقاً على صديقها الذي كان على عجلة من أمره. - إنه شخص
قادم من مكان آخر، ماذا سميت؟ سائح؟ سائح؟

كان أبو منجل يتمنى لو يطير بها إلى أماكن أخرى حتى ترى ذلك بأمر عينها، ولكن ذلك لم يكن
ممكناً، وحتى لو كان قويا فلن يقدر على جبل موسى.

-قال لها: هيا نصعد لرؤية العجوز الحكيم، إسألني أباك أو أمك، إسألني زليمة.
السياح ليسوا أشخاصاً مسؤولين.

وبعد تحذير أبو منجل، دخلت جبل موسى إلى البيت بسرعة، وسألت والديها عما إذا كانوا
يعرفون ما المقصود من كلمة السياح. قال لها والدها أنهم أناس يسافرون عبر العالم للتعرف على
ثقافات وبلدان وأشخاص آخرين، وأنهم لا يتركون في بعض الأماكن شيئاً سوى الأوساخ،
ويسيطرون إلى الأماكن المقدسة، وينتهكون حياة الساكنة الهادئة. وقالت لها والدتها أنها تعرفت
على أشخاص آخرين يبدو أنهم مختلفون، وأنهم أكثر مسؤولية. خرجت من البيت بسرعة لزيارة
الجدة زليمة، فسألته نفس السؤال. أخبرتها أن كل شيء يعتمد على الأشخاص، إذ هناك بعض
الأشخاص الذين يتعاملون بشكل جيد وآخرون يتعاملون بشكل سيء. ويجب علينا منع النوع
الأخير من تفاقم شرهم. لم يكن بوسع جبل موسى الذهاب إلى العجوز الحكيم، ولكنها تكلمت مع
نورس أدوين.

سألته جلم الماء الكبير، والصقر الأسحم، وخرشنة الساندويش، وسألت كلب الماء والقرود،

والبحر والنجوم عما يتوجب عليها فعله؟

-وقالت الصغيرة لأبو منجل وهي تنظر إلى النجوم في طريقها إلى البيت: -ما الذي

يجب علينا فعله؟

ولما سطع ضوء النهار، قرر أبو منجل وجبل موسى وضع لافتات تحكي أن أفضل طريقة للتواجد في الأماكن هي الالتزام بالمسؤولية، وتركها على ما كانت عليه، واحترام الثقافة وطرق رؤية الأشياء، والمحافظة على الحيوانات والنباتات.

وضعا في المسالك، والأزقة والممرات الجبلية المؤدية إلى الأماكن التي اعتقدا بضرورة الحفاظ عليها لافتات يقول بعضها: أحب ثقافتني، احترمها، وتعلم من عاداتي وتقاليدي. وكتبا في لافتات أخرى: استمتع في هدوء وصمت بكل ما تحكيه الطيور والحيوانات، وأنصت لحكايات الصخور والجبال، ولتكن خطواتك حذرة حتى لا تضر النباتات والحيوانات الصغيرة. ووضعوا بجانب بئر المياه المشتركة لافتة تدعو إلى المحافظة على المياه لأنها قليلة وعدم تبديرها وشرب ما يكفي. وفي القرية، ثبنا لافتة كبيرة تبدأ بمثل شعبي يقول: "طعام الإثنين يكفي الأربعة"، استمتع بالأكل الجماعي. لا تعتدي على الأطفال، وعلمهم ألعاب الأماكن الأخرى. لا تتسبب في فقرنا وتعطينا صدقة، ساعدنا على أن نصبح أشخاصا مستقلين بدعمك للاقتصاد المحلي.

وجاء الليل مرة أخرى وهم فرحين رغم التعب، عندما سمعا وقع أقدام أجبرهما على الوقوف. لقد كان نفس الشخص الغريب الذي قابلته ذاك اليوم، الشخص الذي كان يتكلم لغة غير لغة أهل البلد.

أخرج مصباحا لأنه رأى اللافتات. واستخدم نفس العلامات التي استخدمها في ذلك اليوم، وسألها عما إذا كان هناك مكان يقضي فيه ليلته وزيارة المكان. قضى ليلته في القرية، واستيقظ باكرا، وأفطر مع أسرة جبل موسى، وخرج مع الأب للصيد، واستمتع بغزل الصوف مع الأم، وفي المساء، جاب كل الأماكن التي توجد بها اللافتات للوقوف لبعض الوقت في أعلى نقطة من جبل موسى، وبنظرة هادئة، وبعد قضاء يوم حافل وسعيد، قرر البقاء هناك لبعض الوقت، لأنه مكان جيد يمكن للمرء أن يكون فيه سعيدا ويتعلم.

جبل موسى، أصدقاؤها من شفشاون وصديقتها أوسوغا.

مر زمن طويل منذ أن كان العجوز الحكيم يقرأ للطفلة جبل موسى قيمة القصص الحقيقية التي تولد من رحم الأرض، تلك القصص الفريدة من نوعها والتي لا تتكرر. تلك القصص التي تحكى بهدوء يشي بالحكمة، مصدر إلهام وتواصل تتجاوزان الحواجز الثقافية. كان العجوز الحكيم ينظر في الأفق، بينما كان ينتظر بأناة عودة الشابة جبل موسى. وكانت الفتاة قد أمضت بعض الوقت للدراسة في شفشاون.

-صرخ أبو منجل الذي جعله الكبر أكثر طيشا: أيها العجوز موسى! أيها العجوز موسى!
هل ترى شيئا؟

لدى عودتها من إقامتها في شفشاون، انتبهت الشابة جبل موسى إلى أن الأشياء قد تغيرت أيضا في القرية، وأن الشخص الغريب الذي بقي فيها بحثا عن التعلم والسعادة قد أبقى تلك اللافتات التي جعلت يقرر البقاء في القرية، وعمل منذ ذلك اليوم على المحافظة على البقايا الأثرية ونظم جولات مصحوبة بمرشدين. واستمرت والدتها الزهراء في الغزل بينما تشرف على محل صغير للصناعة التقليدية المحلية. أما والدها الوهيري، فقد قرر المزوجة بين الصيد وتعليم الناس كيفية التعامل مع البحر ومشاهدة الحيتان الحدباء بحنان أكثر. كل الذين سكنتهم تلك الروح التي كانت تدب في جبل موسى، وارتبطوا بالمحيط الودي وعملوا بكد للمحافظة عليه، والذين شاركوها سن الطفولة، انتظروا وصولها واجتمعوا لاستقبالها.

وخرج الحوت الأحذب الذي تعرف على جبل موسى في خرجات الصيد من الماء معلنا وصولها. ونزل أبو منجل من الجبل كأنه يتدحرج ويرفقه موسى، العجوز الحكيم. وبهذه المناسبة، حضرت الجدة زليمة، وأعد أهل القرية حفلة كبيرة مليئة بأطباق السمك، والحريرة، والكسكس، والطاجين، زيادة على أطباق الفواكه والمشروبات الطبيعية. كانوا كلهم بانتظار عودة الفتاة

الشابة التي سوف تحكي لهم آلاف الحكايات.

واستمر الرقص والموسيقى إلى آخر ساعة من الليل، في جو يملؤه صوت الدفوف والطبول، وأصوات الخطى، والأهازيج، ونعيق الطيور، وحفيف الرياح، وارتطام الأمواج، وعزف الرمال ونظرات كل النجوم التي رافقت القرية في تلك الليلة.

وقال بعض الناس أنهم رأوا بليونش ترقص بلا كلل على حركات الأمواج بفتان الضوء الذي غزله لها الزهراء. وقررت جبل موسى في غمرة حماسها وإعجابها بالاستقبال الكبير الذي خصها به أهل القرية أن تشكرهم بأغنية تحكي عن رحلتها، وأصدقاءها واللحظات التي عاشتها. والتزم الكل، بمن فيهم الطبيعة، الصمت من أجل سماعها. وامتد الاحتفال لثلاثة أيام وليلتين، ولم يكتف أهل القرية بالرقص والغناء، بل بسرد القصص والأساطير والحكايات وغيرها. ولعب الأطفال، ذكورا وإناثا، مع الحيوانات، وسبحوا في الشاطئ مع الدلافين والأسماك والحيتان. وتنفسوا هواء ملؤه الهدوء، والفرح والأمل.

والتقت جبل موسى في الحفلة مرة أخرى مع صديقتها أوسوغا، وتبادلتا سرد القصص واستمعنا معا للأسرار التي كان البحر يحكيها لهما. ورقصتا معا رقصة القمر احتفالاً بلقائهما، وسهرتا في تلك الليلة لمشاهدة دموع النجوم، لأن اللغات القديمة تقول بأن رؤيتها تحقق الأمنى المنبعثة من الأعماق. وحكت أوسوغا لجبل موسى عن تجاربها خارج المغرب كما حكى لها هذه الأخيرة عن تجربتها في شفشاون.

وبعد انتهاء الحفلة، قدمت جبل موسى أصدقائها الأربع القادمين من شفشاون: طقطوقة، حضرة، الطرب والأندلسي. وقرروا البقاء في دار للضيافة يديرها والدي الشابة.

وخرجت جبل موسى برفقة أصدقائها، وأبو منجل ووالديها في أحد الصباحات على متن مركب الصيد، وألقوا التحية على الدلافين والحيتان، وصعدوا إلى كهف الحكيم موسى، ومروا على البقايا الأثرية للموقع القديم لصيد الحيتان برأس ليونا، ووصلوا حتى القصر الصغير واستطاعوا

المشي بين الجزيرات بالقرب من الساحل.

وفي الليلة الموالية، استطاعوا من الشاطئ رؤية هيئة المرأة النائمة، المستلقية على ظهرها، رأسها في الجنوب ورجليها في الشمال. وفي اليوم الخامس الذي وصلت فيه جبل موسى إلى القرية، قرروا الاستيقاظ باكرا من أجل القيام بجولة في مرتفعات جبل موسى. وبعد جولة طويلة، توقفوا في ضريح سيدي موسى لمشاهدة منظر مضيق جبل طارق، وطريفة، ورأس ميد، ورأس سيريس، وسبتة، وقرينهم التي عادوا إليها في آخر النهار.

وفي اليوم السادس، رافقت أصدقائها إلى تطوان. وفي الليل، جلست الأسرة وأبو منجل العجوز عند الشجرة الكبيرة التي يستظل بظلها بيت الأسرة، وكان ضوء شمعة موضوعة على غصنها كل ما يضيء المكان بأكمله. وهناك تبادلوا سرد الحكايات وفكروا في مغامرات جديدة في المستقبل القريب والبعيد.

ضفتان وعالم واحد

صعد أبو منجل لجبل موسى للمرة الأخيرة، ومن هناك، جلس يتأمل برفقة العجوز الحكيم، والجدة زليمة، وجبل موسى وأسرتها ساحل أندلسيا، ومضيق جبل طارق والساحل المغربي. وبعد الاستمتاع بذلك المنظر الطبيعي الخلاب، بسط جناحيه للريح وحلق في الأفق.

وحكت الرياح بأنها رآته يستريح في جبل موسى، فوق **شجرة كلتوس** معمرة، قرب الطريق المؤدية إلى قرية أفرطان، ويعيش بين أشجار البلوط والأرز غير بعيد عن ضريح سيدي هاشم. وحكت الحرباء لتغلب الماء أن صقرا حكى لها أنه قضى بضعة أيام في شفشاون، بمنزل أصدقاء جبل موسى، في قرية الزاوية للوصول إلى تلامسطن حيث قضى وقتا في غابة الأرز والصنوبر. وقالت بعض النسور أنها رآته في بن كريش، بينما قالت طيور السنونو أنها رآته يحلق بين كدية الطيفور وشاطئ غمارة. وقالت اللقالق السوداء إنه قد قضى زمنا طويلا في الجبهة وقضى أياما أخرى مع طيور النحام في لاجونا سمير للمساعدة في استعادة ذلك الموقع الطبيعي الخلاب.

وقطع مضيق جبل طارق برفقة السلاحف. وقيل إن أشجار الصنوبر الإسباني حكى للحدأة أن أبو منجل العجوز كان متواجدا في سييرا دي جراز اليماء. وقضى يوما في سييرا دي لاس نيفيس يتجاذب أطراف الحديث مع صنوبر إسكاليريتاس، برفقة الأيائل واليحامير والنموس. وقيل أيضا إنهم رأوه في لوس ألكورنو كالس وسييرا بيرميخا وسييرا كريستينا. وقال النسر الأسمر للعقاب الذهبي أنه كان متواجدا في مضيق لوس غايتانيس، قرب الفج المفتوح في وادي الخرس، حيث تتدفق المياه وعبر أخدود لاس بويتيريراس. وعاش مع أبناء عمومته في شاطئ لوس لانثيس، بين رأس بينيا ورأس طاريفاس، حيث حاول إيقاف زحف الحضارة على موطنهم.

وكانت رسالته: ضفتين، وعالم واحد. واستطاع أبو منجل استعادة الكثير من الحكايات وحكاها حتى لا تبقى طي النسيان. تذكر حكاية هرقل وبلينوش التي حكاها للزهراء، الأم جبل موسى التي تغزل الصوف. ونقل حكاية

"الأندلس، حضارة أضاقت الشرق والغرب، تقع في أرض تعد ملتقى الثقافات وتمازج الأعراس" التي حكاها للوهيري في أيام الصيد الهادئة. واستعاد من الطيور المهاجرة، التي حلقت في سماء الضفتين طيلة قرون، أساطير رحلاتها. وحكت له القروء عن الخصائص المشتركة بين الضفتين، والتنوع الحيوي الكبير، وبعض الأمور حول المحمية بين القارتين، في منطقة المتوسط، بين أندلسيا والمغرب. وبكى أيضا على حالات الوفاة التي صادفها في الشواطئ في السنوات الأخيرة.

وتوقف للاستراحة في كثنان شاطئ بولونيا، حيث يمكنه رؤية مدينة طنجة. ووصل إلى صخرة جبل طارق برفقة الدلافين والحيتان وعاد للبقاء إلى جانب صديقه جبل موسى، التي أصبحت أسرته. وما زال فتیان وفتيات المنطقة، حتى يومنا هذا، يقرأون حكايات أبو منجل التي تركها مكتوبة في مذكرات سفره.

جبل موسى

سياحة مسؤولة ومجتمعية

التربية والتعليم من أجل التنمية في مجال السياحة المسؤولة والمجتمعية في المناطق القروية في شمال المغرب: تنفيذ مشروع نموذجي في موقع جبل موسى ذو الأهمية البيولوجية والإيكولوجية (المغرب) المشروع 2011DEC006
الاتفاقية الخاصة للتعاون المبرمة بتاريخ 30 ديسمبر 2011 بين جامعة قرطبة والوكالة الأندلسية للتعاون الدولي من أجل التنمية

رحلة حول جبل موسى: دليل تربوي ومواد تربوية حول التنمية في مجال السياحة المسؤولة والمجتمعية في المناطق القروية في شمال المغرب

الجهات المسؤولة عن المشروع:



الجهة الممولة للمشروع:



Agencia Andaluza de Cooperación Internacional para el Desarrollo
CONSEJERÍA DE ADMINISTRACIÓN LOCAL Y RELACIONES INSTITUCIONALES
الوكالة الأندلسية للتعاون الدولي من أجل التنمية

الدعم التقني:



Centro de Iniciativas para la Cooperación
مركز مبادرات من أجل التعاون

من منشورات: مركز التفاعل بين الثقافات (جامعة قرطبة، إسبانيا، UCO) وجمعية "تراث، تنمية ومواطنة" (جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، UAE) قرطبة (إسبانيا)، 2014.

CO-

الإيداع القانوني:

ردمك:

الإدارة والتنسيق التقني:

عبد الوهاب إدلاج (جامعة عبد الملك السعدي)
مانويل ريفيرا ماتيس (جامعة قرطبة)
لويس رودريغيز غارسيا (جامعة قرطبة)

الدعم التقني من إنجاز:

مركز مبادرات من أجل التعاون (CIC-BATA)

الفريق التقني:

كلاوديا أوسوغا

رافاييل كانطيرو ميدينا

فيدريكو روميرو لارا

التصميم والتنسيق: Aldaba 21

قرطبة، 2014

